الله أكبر، الله أكبر، لا
إله إلا الله، الله أكبر،
الله أكبر، ولله الحمد

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

# اللقاء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، ونسأله من عظيم فضله وهو المتفضِّل على عباده أن يجعل الإيمان-الذي هو طريق الإنسان إلى رضا الرحمن-في قلوبنا إلى زيادة، وهو-سبحانه وتعالى-الذي يحبِّب إلى خلقه الإيمان ويزيِّنه في قلوبهم، ويكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فنسأله-سبحانه وتعالى-وهو الذي بيده ملكوت كل شيء والقلوب بين يديه-أن يجعل الإيمان مستقرًّا في قلوبنا، ويجعل الفرص القادمة لزيادة الإيمان فرصًا نافعة يزيد بها إيماننا.

أما موضوعنا فهو من المواضيع المحسوسة المعلومة، وهو

## قدوم الليالي العشر التي هي أعظم أيام الدنيا!

وهذه الليال العشر التي سنقدم عليها تحتاج منا قبل أن نفكّر في الأعمال التي علينا أن نقوم بها في هذه الليالي، أن نفكر في شيء أهم من ذلك، وهو: **ماذا يجب عليك أن تعتقد في هذه الليالي؟**

فكما تعلمون مواسم الطاعة تمرّ على الإنسان ويمكن أن يعمل أعمالًا ويبني بناءً ثم تنتهي مواسم الطاعة فتنتهي الأعمال وينقلب الإنسان بعد أن كان طائعًا مؤمنًا إلى عاصٍ! وأقرب مثال لنا موقفنا في رمضان والعشر الأخيرة منه، الإيمان والطاعة فيها والعبادات والمساجد امتلأت بالناس وقيام الليل والصبر من أجل بلوغ ليلة القدر، ثم ما أن يأتي آخر يوم من رمضان ويبدأ العيد إلا والناس انقلبت نفوسهم وأصبحوا آخرين! هل من المعقول أن الأعمال التي قام بها الإنسان ذهبت فجأة؟!

من المؤكد أن هناك خللًا؛ ولذلك يتحوّل الأمر إلى هذه الصورة، وهذا الذي نريد أن نتباحث فيه قبل أن تدخل علينا العشر وتنتهي ولا نحصّل منها شيئًا.

**قال الله-عزَّ وجلَّ-في كتابه: {وَلَيَالٍ عَشْرٍ}**[1]

والواو هذه تدلّ على القسم، أي أنّ هذه الليالي عند الله عظيمة؛ بدليل أنه-سبحانه وتعالى-أقسم بها، فإذا أقسم الله-عزَّ وجلَّ-بشيء فهذا الشيء عظيم.

(1) [سورة الفجر: 2]

والقلب الحيّ هو الذي يشعر بالعظيم الذي عظّمه الله، والقلب الميت أو المريض يقال له: هذا مكان عظيم عظّمه الله، هذا زمن عظيم عظّمه الله، لكن لا تجد أثرًا لهذا الخبر على قلبه.

مثلاً: تجد الناس في بيت الله في الحرم لا يتعاملون مع الحرم بالتعظيم اللازم، وهذا الحرم قال الله في حقّه: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[1] أي أن الذي يخطر على باله وتكون عنده إرادة-يريد الذنب ولم يفعله-يذيقه الله من عذاب أليم! فالبيت عند الله عظيم لدرجة أن إرادة الذنب يأثم عليها الإنسان.

مثلًا: يكون الشخص في جدة ويريد الذهاب لمكة لمقابلة شخص ويخطط أن يكذب عليه، من هنا وأنت في جدة تأثم على ذلك، مجرد إرادة الذنب في الحرم تأتي بالعقوبة على الإنسان، هذا دليل على أن الحرم عظيم عند الله.

**في الواقع: هل القلوب حية أو مريضة أو ميتة تجاه هذا الخبر؟ هل نجد في قلوبنا تعظيمًا للبيت لهذه الدرجة؟**

إذا كان هناك تعظيم فلن تجد مظاهر عدم الأدب والاستهتار في بيت الله، لن تجد الناس يحوّلون بيت الله إلى مكان للقاء كأنهم في استراحة! هذا كله إشارة إلى عدم تعظيم البيت، وعدم تعظيم البيت يشير إلى أن قلبك إما مريض أو ميت، وهنا الخطر، أن الله يُقسم بالعشر، يُعظّم البيت والحرمات والشعائر، ثم تصبح كل هذه العظيمة عند الله يشعر الناس تجاهها بضعف، لا يشعرون بتعظيمها، هي ستبقى عظيمة رغم أنف كل مَن لا يعظّمها، لكن عدم تعظيمها دليل على أن القلوب فيها إشكال؛ لأن القلب الحيّ علامته الشعور (يشعر بالغيبيات التي أخبر الله بها).

القلب الحي هو الذي يتّقي الأخطار التي أخبر الله بها، والقلب الميت أو المريض يقال له: ستدخل قبرك وحدك-وهو متأكد- وستلقى من الأهوال والفزع الأكبر حين تقوم الساعة، وهذه السيئات ستفعل بك كذا وكذا. كل هذه الأخبار لا يشعر بها، فهذا القلب إما مريض أو ميت.

- فعلامة صحة العين أنها تبصر.
- وعلامة صحة الأذن أنها تسمع.
- وعلامة صحة اليد أنها تبطش.
- وعلامة صحة القدم أنها تمشي.
- وعلامة صحة القلب أن يشعر.

(1) [سورة الحج: 25]

هل المقصود أن يشعر بالدنيا؟ لا، علامة صحة القلب الإيمان والتصديق والشعور بالغيب، فالقلب الصحيح علامته الشعور بالغيب، فإذا كان القلب لا يشعر بالغيب سيتردّد بين أن يكون ميتًا أو مريضًا.

**وعلى هذا عندما تأتي الأيام القادمة العظيمة عند الله**، أعظم أيام الدنيا، وأقسم الله بها، ثم لا نجد في قلوبنا تعظيمها، فهذا

يصبح مؤشِّرًا إلى أن هناك مشكلة في قلوبنا؛ ولذلك المشكلة ليست في قيامنا بالأعمال؛ لأن الناس يركزون على أنهم سيصومون ويذكرون، قبل هذا كله **هناك عبادة عليك أن تدخل بها إلى هذه الأيام، وهي:**

أن تشعر بأن هذه الأيام عظيمة كما عظّمها الله

**ما معنى أن هذه الأيام عظيمة؟**

أي أنك ستفكِّر على الأقل في اسمين من أسماء الله–عزَّ وجلَّ–، أما الاسم الأول فهو اسمه:

( المنّان )

وهذا الاسم نعيش في آثاره، فالله–عزَّ وجلَّ–يمنّ علينا بالمنن العظام، وهذه المنن المفترض أنها تزيدنا إيمانًا، بمعنى أن العبد يكون في ضيق من شأنه فيعامله الله بمنّته، فيعطيه أكثر مما يريد، يخطر على بال العبد مطلبًا–فقط خطر على باله–فربه يمنّ عليه بهذا المطلب ويزيده. يتحرّك قلب العبد لأمور، فلا ترى إلا والله–عزَّ وجلَّ–أعطاك إيّاها، هذا كله من آثار اسمه المنان.

إلى أن نصل للمنة العظيمة وهي منّته بالإسلام والإيمان، منّته على أهل الإيمان بأن يحصل لهم من الأحوال ما يسبّب لهم زيادة الإيمان، والأحوال هذه لها أنواع، من أنواعها التي تظهر فيها منّة الله أنّه يمرّ عليك من الضيق والأزمات ثم تسأله أن يشرح عليك صدرك، فيمنّ عليك بدون سابق أمر بأسباب تشرح لك صدرك، فحين تقرأ أوائل سورة الروم تجد أنّ هذه الآيات فيها خبر عن الفرس والروم الذين هم بعيدون عن المسلمين، يقتتل الفرس مع الروم فينتصر الفرس فيدخل في قلوب المؤمنين شيء من الحزن لأن الروم من أهل الكتاب، فيمنّ الله على المؤمنين ويبشرهم أن هناك سببًا سيكون لإدخال السرور على قلوبهم وهو بعيد عنهم، وهو انتصار الروم الذين هم من أهل الكتاب، فيُبشَّرون بسبب بعيد عنهم!

فعندما يأتيك ضيق وقلبك يلجأ لله، تجده يمنّ عليك بسبب لانشراح الصدر ما مرّ على خاطرك! تقرأ عبارة تفكك عنك الهمّ، تلقى أحدًا ما مرّ على خاطرك أن تلقاه فينشرح صدرك لرؤيته، تذهب لمكان وتسمع كلمة تكون سببًا لانشراح الصدر وليست

لها علاقة مباشرة بأزمتك، أي أن الأزمة ما انفرجت، لكنه يمنّ عليك بأسباب لانشراح الصدر، من آثار اسمه المنان أنه يمنّ عليك بأسباب ليست تحت طاقتك وقدرتك وليست ملكك، يمنّ بها عليك ليزيد الإيمان.

وكما يمنّ عليك بأسباب لانشراح الصدر، نأتي للأعظم ويمنّ عليك بأسباب لزيادة الإيمان.

**ما هي زيادة الإيمان؟**

أي: قوة الشعور وطول زمن الشعور، فلا تفقد شعورك بسرعة؛ لأن الإيمان ليس بالتمنّي ولا بالتحلّي، ليس بأن يقول الشخص: (أنا مؤمن، أو أتمنى أن أكون مؤمنًا) الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، فعليك أن تفتّش عن الإيمان في قلبك، ما مقياس الإيمان؟

أن تشعر بالغيب، أي أنك تكون في الأرض وتشعر بأن حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا، للذين تابوا، فعندما تتوب–وأنت صادق في توبتك–تشعر أن الله يفرح بتوبتك، تشعر أن حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا فتتمنى أن تكون منهم.

(الإيمان ما وقر في القلب) أي: شعورًا تشعر به، وليس أمرًا غائبًا عنك ومنفصل عنه تمامًا ولا تفكّر فيه وتقول إنك مؤمن به. الذي تؤمن به تشعر به وتصاحب الشعور به دائمًا، وكلما زاد الوقت بالشعور به، زاد دليل إيمانك.

عندما تقرأ القرآن وتجد أوصافًا للرحمن، يخبرك الله عن نفسه أنه: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}[1]، وتقرأ هذا قبل أن تنام، ماذا يجب أن تشعر إذا كنت مؤمنًا؟ تشعر أنك في حفظه ورعايته، تثق به، تذهب همومك لأن القيوم قائم عليك، فنم وأنت مطمئن منشرح الصدر مرتاح البال لأن القيوم الذي يدبرك في السماء له مُلك السماوات والأرض، يعلم ما بين أيديكم وما خلفكم، يعلم مستقبل حالكم وما مضى، وهو العلي العظيم.

فكيف تقرأ آية الكرسي وتنام وأنت قلق؟! شعور القلق يغلبه شعور الثقة بالله–عزَّ وجلَّ–لأنك عرفت مَن هو الله.

نحن نناقش الإيمان فنقول: من آثار منّة الله–عزَّ وجلَّ–على خلقه أنه يمتنّ عليهم بأمور كثيرة، منها أنه يمتنّ بأسباب لزيادة الإيمان؛ أي زيادة الشعور بالحقائق الغيبية، أي أن القلب يصبح الغيب عنده قويًّا، إلى أن تأتي كلمة (أشهد) شهادة حقًّا وليست غيبًا. أشهد أن لا إله إلا الله: أي أنّ الحقّ في غيبك تحوّل إلى شهادة من كثرة شعورك به، فزيادة الإيمان معناها زيادة الشعور بالحقائق

(1) [سورة البقرة: 255]

الغيبية ولذلك اسمه: (ما وقر في القلب) والذي يثبت في القلب لابد أن تكون له نتيجة، لكن كل تركيزنا الآن على ما وقر في القلب أما نتيجة العمل فسيأتينا الكلام عنها.

إذًا كلما زاد الإيمان، زاد الشعور بالغيب ولقاء الله ومن هو الله وما سيكون الخلق عليه.

فعندما تسمع في القرآن: {الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}[1] هل تشعر به؟ أو ميتٌ شعورك تجاهه؟ أو أن الشعور تجاهه ضعيف؟

- كلٌّ منّا على حسب حاله، قويُّ الإيمان يشعر به فيستعدّ.
- ضعيف الإيمان تمرّ عليه هذه الكلمة مثل باقي الكلمات ولا يشعر بها.
- أما ميت القلب فكأنه لم يسمعها!

لماذا وصلنا لحدّ أنّ القلوب يمكن أن تموت ولا يصبح هناك شعور بأخبار الغيب والأمور التي نحن متأكدون من أنها ستحصل؟ كل يوم نسمع أن هذا يموت وهذا يموت، أكيد سيدخل قبره ويلقى حسابه وسيكون في ظلمة ولن يكون هناك أنيسًا له إلا الأعمال الصالحة، لماذا هذا الضعف برغم أن الحقائق موجودة ومتفق عليها ولا أحد يكذبها؟ نحن نتكلم عن المؤمنين الذين لا يكذبون، فما المشكلة؟

قال سبحانه وتعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}[2] الأزمة: الالتهاء؛ ولذلك: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}

لهم وصفان:

- {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}[3] هذه أبدانهم.

(1) [سورة الأنبياء: 103]
(2) [سورة التكاثر: 1]
(3) [سورة الأنبياء: 2]

﴿ {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} اللهو يأخذ شعورك، يلهيك.

عندما نقول: هذا الشيء ألهاني، أي شغل شعوري. هذه حقيقة أزمتنا، الناس قد يشتركون في الأعمال الصالحة فيصومون ويذكرون في رمضان والعشر، لكن المشكلة في القلب، هل يشعر بما هو قادم عليه؟ هل يشعر بتعامله مع ربه؟!

العشرة القادمة منّة من الله على أهل الإيمان، يمنّ بها عليهم من أجل أن ينتفعوا بها فيزيدوا بها إيمانًا.

كيف أنتفع بهذه المنة؟ **أن أشعر بأن هذه الأيام عظيمة عند الله**، وأن لا أتعدّى على عظمتها وحرمتها، فكما هي عظيمة عند الله لابد أن تكون عظيمة في نفسي.

**ما هي أحوالنا؟**

ستدخل الإجازة على العشر، فتتحول العشر إلى لهو! فيصوم الناس النهار وهم نائمون، ويلهون طوال الليل، ثم يقولون: (رب أعنا على الانتفاع بهذه الأيام)! الذي سينتفع بهذه الأيام هو الشخص الذي عظّمها.

كيف نعظّم أيام الاختبارات؟ لا نريد أن يزورنا أي شخص أو يشتت أولادنا، نغلق كل أسباب الالتهاء، كل هذا الذي نقوم به انعكاس لتعظيمنا لأيام الاختبارات، ونقول: (هذه فترة وتنتهي).

هذا التعظيم لابد أن يكون حقًّا في الأيام العظيمة عند الله، فعندما تعظم شيئًا تنقطع عن الناس ولا تنشغل بهم ولا يكون في قلبك تعلقًا بهم، هذا كله دليل على تعظيمك لهذه الأيام، فقبل أن نتكلم عن تفاصيل الأعمال لنتكلم عن حق هذه الأيام وهو تعظيمها.

سنعيد المقطع الذي مضى لنبتدئ بـ: (كيف يكون التعظيم)

قال تعالى: {وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)} هذه الليال العشر أقسم الله بها وهذا دليل على أنها عظيمة عند الله. ناقشنا هذه المسألة من جهة ما هو واقع في قلوبنا، فابتدأنا باسم الله المنّان، وقلنا إن العبد إذا عرف أنّ ربّه منّان يمنّ عليه في كلّ حال بأمور لا تدخل تحت طاقته ولا قدرته، وفهم هذا الشيء جيدًا، سيعرف أنّ الله يمنّ على خلقه بأسباب تسبّب لهم زيادة الإيمان، وهذا مِن منّته ليس للخلق في ذلك شيء. أنت تمشي في حياتك وتبذل جهدك لتسافر إلى ربّك، فمِن منّة الله أنّ يعطيك أيامًا العمل فيها أجوره عظيمة، فتقول: الحمد لمن مَنّ عليّ بهذه المنّة ونسأله أن ينفعنا بهذه المنّة. هو الذي امتنّ وابتدأك، فعندما تفكّر في

هذه الأيام تقول بأنّ هذه منّة مِن الله على خلقه سبّب لهم زيادة الإيمان، فمن أعظم مِنن الله على خلقه أن يسبب لهم أسباب لزيادة الإيمان. هناك أسباب مشتركة بين الناس كلهم وهناك ما يخصك عن الناس. مواسم الطاعات مثل رمضان من المنن المشتركة التي تسبّب زيادة الإيمان، وهناك مِنن تخصك: كأن يجعلك جار المسجد، جار التحفيظ، يفتح عليك بعلم، يسهل عليك الطريق لسلوك العلم، هذه منن خاصة لزيادة الإيمان. نضع اسم المنّان أمام أعيننا فيصبح في قلوبنا ثناء على الله أنّ مَنّ علينا بمواسم يزيد فيها الإيمان، وهذا يشترك فيه كل الخلق، وهناك منن خاصة، نحن نتكلم عن الأمر العام وهو منّة الله بالمواسم التي يزيد فيها إيمان العبد.

ملخص الكلام الذي مضى: ماذا تعتبر عشر ذي الحجة؟ أيام عظيمة أقسم الله بها، وهي مِن منّة الله المنان على خلقه؛ لأنها من أعظم أسباب زيادة الإيمان.

ما معنى (زيادة الإيمان) لأهتم بأسباب زيادته؟ الإيمان ليس بالتحلي ولا التمني إنما ما وقر في القلب وصدَّقه العمل. ما معنى (وقر في القلب)؟ أي: استقر في القلب، والقلب مكان للشعور.

عندما تصاب بالزكام يضعف إحساسك بالذوق أو ينعدم، وهذا يعني أنك مريض أو مريض بشدة؛ لأنك فقدت الإحساس بالذوق، وحين لا يشعر القلب يصبح مريضًا أو ميتًا.

بذلك فهمنا أن الإيمان ما وقر في القلب وعلامته الإحساس.

كلما زاد شعورك بالأمور الغيبية التي أُخبرت عنها تحوّل الأمر عندك لليقين، كأنك ترى الأشياء والحقائق؛ ولذلك عندما يزيد الإنسان من أسباب زيادة الإيمان وتدخل على قلبه، تصبح الحقائق التي يقرؤها في القرآن كأنها رأي العين، وعندما يلتهي بالدنيا وينشغل بها يقرأ هذه الحقائق نفسها لكن كأنه غائب عنها في مكان آخر.

قال تعالى: { تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}[1] هذا يكون في الدنيا وقت القبض، ثم نفس هذه الملائكة تأتيهم في وقت الفزع الأكبر وتؤمّنهم وتطمئنهم، قال تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[2] أنت تسمع هذه كأخبار، لو كان الإيمان قويًّا ستشعر بها، وتشعر بالملائكة الذين هم من الغيب، ويتحول الغيب عندك لشعور موجود، الضعف في هذا الشعور سببه نقطة سوداء من هنا ومن هنا أفقدتك الشعور.

(1) [سورة فصلت: 30، 31]
(2) [سورة الأنبياء: 103]

إذًا هذه الأيام العظيمة منّة مِن الله يزيد فيها إيماننا، نعظّم هذه الأيام فنصفو لها ونجمع قلوبنا جيدا على تعظيمها.

**كيف يكون التعظيم؟**

هذا التعظيم دليله قولك باللسان. فربما تكونين كل هذه الأيام معذورة شرعا لا تصومين ولا تصلين، ماذا ستفعلين؟ أهم شيء في هذه العشر **الذكر**، بحيث أن القلب يشعر واللسان ينطق، إذا حصل وقوي الإيمان في القلب ومعرفة المحبوب وبقي ذكره في القلب والتفكير في رضاه والتعلق بلقياه، أكيد أن القلب الذي يتعلق بالمحبوب سيذكره بلسانه، فإذا تعلق قلبك بالله وعظّمه واشتاق إلى لقاه وأصبح حي ويتحرك، ستبقى ذاكرًا، حين يضعف الشعور بلقاء الله وبعظمته ولا يشعر الإنسان بأي شيء يدفعه لتقواه

-سبحانه وتعالى-، يحتاج حينها لمن يذكّره بأذكار الصباح والمساء، يحتاج للتذكير بالتكبير، الإنسان يغفل صحيح، لكن هذه العشرة أيام مضغوطة مختصرة لتنفض عنك الدنيا ويبقى تفكيرك في الله ولقائه، وهذا معنى أن تعظّم ما عظّمه الله؛ ولهذا أهم ذكر تقوله في هذه الأيام (الله أكبر).

علاقة (الله أكبر) بالتعظيم:

الذي يقول: (الله أكبر) أكيد أنه يرى كل شيء غير الله أصغر، يرى كل شيء لا يستحق العناية، أعظم شيء في قلبه ومقصده هو الله.

في قلبك زحام من الهموم والمتعلقات، تحمل همّ أبناء، بيت، مال، دين...الخ هذه الهموم تفندها تفنيدا في العشر، تعرضها أمام نفسك وتقول: (الله أكبر). أكبر من كل هذه الهموم التي أحملها، أكبر من كل المتعلقات التي أتعلق بها، أكبر من كل عائق يعيقني عن السير في الطريق إلى الله.

الذي يشوشنا في الصلاة أننا نقف وقلوبنا تدور في البيت، في العمل، في الحي، في العالم! لماذا؟ أحد سببين: إما تعلقات أو هموم، إما شيء تحبه وترغب به، أو شيء أنت مهموم بسببه.

فعندما تقول: (الله أكبر) فهو أكبر من كل شيء، بحيث يصبح كل شيء في مكانه، أعطي كل شيء حجمه.

فإن كنت تخشى على رزق فالله أكبر من كل ضيق تمر به وهو الرزاق.

وإن كنت تخشى على هداية ولد فالله-عزَّ وجلَّ-أكبر من كل أمر يعيق هداية هذا الولد.

اعرض كل شيء تدور همومك حوله وقل: الله-عزَّ وجلَّ-أكبر من كل هؤلاء.

كل الناس الذين أتوقع أنهم يمنعون عني خيرًا أو أخاف أن يقع منهم كذا وكذا، فالله-عزَّ وجلَّ-هو مليكهم والمقتدر عليهم وهو الذي يصرّفهم؛ فيقع في قلبك لربك التعظيم والثقة.

كونك تهتمّ فلا تظنّ أنّ هذا طريق حل الهمّ، إنما طريق حلّ الهمّ أن تعظّم الله وتكبرّه وتراه مقصدك ومقصودك وصمدك وهو ركنك الشديد، فإذا كان هذا الحال سيكبّر قلبك الله على كل الهموم، لن تأتي في همّ وتقول: (ماذا أستطيع أن أفعل؟ أنا عاجز) نعم أنت عاجز، لكن وكيلك وكافيك وحسبك ومَن هو وليك وأمرك أن تتولاه أكبر من هذا كله الذي أنت في هموم حوله.

ولو كان ضِيقًا في الصدر أو ضِيقًا في الحال أو الولد أو الزوج، أيا كان هذا الضيق نهايته أن الله هو المليك لهم جميعًا والمتصرّف والمدبّر لهم جميعًا وهو الذي يسبّب أسباب زيادة الإيمان الذي به ينشرح الصدر وتزول الهموم أو تزول أنت عنها، ففي النهاية العبد يفكّر في عظمة الله وكبريائه، وهذا الذي لابد أن نتناقش فيه بالتفصيل.

## الجزء الثاني أن هذه العشر العظيمة عند الله والتي هي من آثار منّته

وسبّبها لنا أسبابًا لزيادة الإيمان مطلوب منّا أن نعاملها معاملة خاصة تدور حول قلبنا ولساننا، ركزوا في هذين العضوين: القلب واللسان. نريد أن نخرج من العشر وقد تطابقت قلوبنا مع ألسنتنا، لسان يذكر الله وقلب حي يشعر بكمال صفات الله، وقرب الله، ولطف الله، ورحمة الله، قلب حي يشعر بما وصف الله به نفسه. لا يصح أن أقول بعد الصلاة: (اللهم أنت السلام ومنك السلام) ولا أشعر بكماله سبحانه وتعالى، ولا يصح أن أقول: (سبحان الله) وتأتيني ظنون فاسدة عن الله! فعن أي شيء تنزهه إذًا؟ الذي يقول: سبحان الله فهو ينزه الله، ثم بعدما ينزهه تمر في خواطره ظنون سيئة عن الله، هذا كلام لم يواطئ فيه القلب اللسان.

هذه الأيام العشر فرصتنا للعناية بالقلب واللسان، نريد أن نقوم بعملية مطابقة بين القلب واللسان بحيث يقول اللسان:

(الله أكبر) والقلب حقًّا يعظم الله؛ ولذلك الذكر في هذه الأيام مطلوب وخاصة التكبير سواء المطلق أو المقيد.

لو دخلت علينا العشر يوم الأحد يبدأ التكبير المطلق من غروب شمس السبت، من هنا خلّي نفسك من الأشياء ما استطعت إلى ذلك سبيلا، خلّي نفسك من الهموم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، لا تواعد هؤلاء وهؤلاء وتقول (لدينا إجازة)، قلّص الارتباط، قلّص من الاختلاط، غيّر نظام علاقاتك خلال هذه العشر لتكون هناك فرصة تحصل فيها المطابقة بين اللسان والقلب. هذه المطابقة دائرة حول تعظيم الله، حول قول: (الله أكبر) بلسانك، وقلبك يشعر بتكبيره-سبحانه وتعالى-وتعظيمه.

## الجزء الثالث معنى (الله أكبر).

## نبدأ بمعنى الاسم العظيم (الله):

(الله) لفظ الجلالة الذي هو مجمع أسماء الله فيه، يتضمن كل أسماء الله وصفات الكمال.

معنى هذا الاسم كما قال ابن عباس: (ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين).

(ذو الألوهية) أي الإله الذي تحبه القلوب وتعظمه لما له من كمال الصفات. ولذلك عندما تجد شخصًا يرفع أحدا من الخلق فوق منزلته، تقول له: انتبه، لا تؤلهه؛ أي لا تعطه صفات الكمال، كل الناس ضعفاء فقراء عاجزين، والكامل هو الله. فعندما تقول: (الله) أي أنك تقول: أنا لي إله كامل الصفات وأنا ضعيف وفقير وعاجز، إذا كنت فقيرًا فالله هو الغني فإليه أصمد، وإن كنت أنا الضعيف فالله هو القوي فإليه أصمد، فأنت فقير وضعيف وعاجز وهو-سبحانه وتعالى-قادر. أنت عبد هذا وصفك، لا يخلو حالك من فقر وضعف وعجز، والله كامل الصفات الغني القوي القادر.

فيا أيها العبد كلما مرت عليك الحياة، زادتك شعورا بضعفك وفقرك وعجزك، وكلما مرت عليك الحياة، دفعتك لباب الله.

مَن هو الله؟ كامل الصفات الذي له صفات الكمال، وهو بالتالي الذي يستحق أن أقف عند بابه وأنذل بين يديه وأنكسر له وأستمتع بذلك، لماذا أستمتع؟ لأنه-سبحانه وتعالى-عندما يعامل عباده تظهر في معاملته لعباده آثار رحمته ولطفه وجبره وستره وقربه، لا تناديه إلا يجيبك، لا تناجيه إلا يطمئنك، لا تطلبه إلا يعطيك، فإذا كان هذا هو الله فلابد أن يكون وصفه في قلبي عظيما، فعندما تقول: (الله) كامل الصفات الذي كل صفة كمال له تعتقد فيه أنه أكبر، أكبر من كل شيء.

فإذا رأيت في شؤون أهل الدنيا ما يعجبك فالله عز وجل أكبر، يعطيك وينعم عليك ويسكّن قلبك، وإذا لم يكن هنا في الدنيا فهناك، فقلبك يتعلق بأن الرب الذي يهب ويعطي سيعطيك، هو أكبر من هذه الخليقة، هو الذي أعطاها ووهبها وهو الذي يعطيني ويهبني.

الله أكبر من أن يحبس أحد عني رزقًا لي.

الله أكبر من أن يقع عليَّ شيء لم يقدّره الله.

لو اجتمعت الأمة كلها على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، كل الأمة في كفّة ولا يمكن أن تفكر فيها وأنها تساوي شيئا، نعم يمكن أن يجري على يديهم شيء لكن الذي جرى على يدهم قد كتبه الله، فهم لا شيء، المُلك كله لله، أما أنهم يضرونك فإنهم لا يستطيعون أن يضروك ولو اجتمعوا، ولا يستطيعون أن ينفعوك ولو اجتمعوا.

فتكون النهاية أنه أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء لِما له–سبحانه وتعالى–من صفات الكمال وعظيم الجلال.

فعندما تكبّره لابد أولا أن تعتقد أن له الصفات الكاملة، ثم تأتي لكل أحد تعتقد أن له صفة كمال وتقول: (الله أكبر منك).

عندما تخاف من أي قوي في حياتك–وفنّد مَن هم الأشخاص الذين تشعر في قلبك أن لهم سيطرة وقوة عليك–قل بأن الله أكبر منهم؛ لئلا يبقى خوف إلا من الله.

والهموم التي تحملها قل بأن الله أكبر منها وهو الذي يزيلها، وفنّد كل ما في قلبك وأخرجه واعرضه على (الله أكبر)، فستجد أنه لا يوجد هم إلا وسيذوب، ولا مشكلة إلا تستصغر، ولا حال تخشى منها إلا وتذهب هذه الخشية لأنك اعتمدت بقلبك على العلي الكبير الذي كل شيء تحت ملكه وسلطانه، فهي فرصتك أن تعظمه وتخرج من الهموم.

أنت خائف أن يضل هذا الولد، أن يذهب هذا الزوج، أن يحصل لهذا البيت كذا، اجمع مخاوفك وقل (الله أكبر) عليها جميعا، فهو العلي الكبير الذي تلجأ النفس إليه.

المقصد من هذا التفصيل أن لا تترك نفسك على العموم وتقول بأنك تقول: (الله أكبر) وانتهى الأمر، لابد أن تقوم بعمليتين:

1. أخرج كل شيء تشعر أنه كبير، أخرج الأشياء التي في قلبك والتي تسبب لك التعقيد، كلم نفسك عنها وفكر فيها.
2. واملأ قلبك بعظمة الله وقل: هل هناك مشكلة أمرّ بها والله ليس قادرا على فكها وحلها؟ لا طبعا، إذًا الله أكبر من كل أزمة أمر بها.

هل هناك أشخاص يمكن أن يسيطروا علي ويكون أثرهم علي سابق لفعل الله؟ لا طبعا، الله أكبر من كل هؤلاء. فما الذي أشغلك بالخلق إذًا؟ ما الذي جعل الخلق لهم مكان؟ ما الذي جعلك تسترضيهم؟ ما الذي جعل عقولنا تدور حولهم؟ لماذا؟ لأن كلمة التكبير ليست موجودة كما ينبغي.

إجمال هذا الكلام أن **أهم أسباب زيادة الإيمان:** مواطأة اللسان القلب في الذكر، وكل الأعمال الباقية طبعا أسباب لزيادة الإيمان.

### أين ستكون مواطأة اللسان للقلب في الذكر؟

أول مكان سنبدأ فيه بالحرص على أن يواطئ لساننا قلبنا هو **صلاتنا**.

لا ندخل العشر وكل تركيزنا أن نقوم بالنوافل، ولا نصلي الفرائض كما ينبغي، ثم نقول: (صمنا، الحمد لله). المسألة لابد أن تمشي على الطريق الصحيح.

أيهم الأحب إلى الله النافلة أم الفريضة؟ الفريضة بالاتفاق. والفريضة المفروضة عليك في الأيام القادمة هي الصلاة، فيصبح المطلب أن يكون هناك مطابقة فيها بين قول اللسان والقلب. والصلاة شعارها التكبير، فهذه العشر أتت من أجل أن تكبّر الله، وأنت طول الحياة المفترض أنك تصلي وتكبّر الله، ففرصتنا في العشر أننا عندما نأتي للصلاة نبذل جهودنا أن تواطئ ألسنتنا قلوبنا، فلا ترفع يديك وتقول: (الله أكبر) وأنت مشغول مهموم تفكر وتتعلق وتسرع وتنتظر لتخرج!

اجعل العشر هذه مكانا للفراغ قدر ما تستطيع، وأكيد أنك تستطيع ربع ساعة لصلاة الظهر ما بين السنة والفرض، فإذا كنت تستطيع سيكون جهادك في هذه العشر أن يواطئ لسانك قلبك في كل تكبيرة تكبرّها وكل كلمة تقولها؛ لأن الذكر أهم شيء في هذه العشر، وها أنت لما تكبّر وتركع، وتكبّر وتسجد، وتكبّر وتقوم من السجود، ها أنت تكبّر وتذكر الله، والمطلوب في كل هذه التكبيرات أن تجمع قلبك.

ومثلها عندما تقرأ الفاتحة العظيمة التي لو صحّت قراءتها لزاد إيمان العبد واستقامت حياته. كل يوم نناجي الله مرات ومرات، نقول له: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[1] كيف تكون قلوبنا غير موجودة؟ لو سألنا بصدق ما خيبّنا الله؛ لأنه في الحديث-كما تعلمون-قال: ((هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ))[2] لكن إن صَدَقَ في سؤاله، إن واطأ لسانه قلبه. ألسنا جميعا نعرف الحديث الذي فيه: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ))[3] قلب لاهٍ، يقول: يا رب، أعطني وأعطني. وقلبه غير موجود! ومثله الفاتحة، تقول له: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} وقلبك لاهٍ! لن تكون حينها من أهل ((هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)).

إذًا اتفقنا أن أهم شيء يواطئ فيه اللسان القلب وقت الذكر هو **الصلاة**. لا تهتم بالنوافل وتترك الفرائض، هذه من الأخطاء المتكررة التي يقع فيها الناس، فعندما تدخل الإجازة وتتداخل الأوقات عند كثير من الناس يصومون النهار وينامون طوال النهار ثم تضطرب الصلوات فيكون أثر هذا على الناس أنهم لا يعتنون بالفرائض في مقابل أنهم يغترون بالقيام بالسنن، يهملون الفرائض ويطمئنون بأنهم قاموا بالسنن ولا يعلمون أن أحب عمل تتقرب به إلى الله هو الفريضة، وهذه العشر فرصة للتفرغ والتعظيم فتجمع

(1) [سورة الفاتحة: 6]

(2) "صحيح مسلم" (كتاب الصلاة/ باب وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ وَلاَ أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا/ 904).

(3) "سنن الترمذي" (أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ 66-بَابٌ / 3479) قال الألباني: حسن.

بين القول باللسان ومواطأته للقلب. أول وأهم شيء الصلاة، وبعدها تستصحب الذكر، يبقى المحبوب العظيم في بالك، لا يقع منك التهاء عنه، لا تنشغل عنه.

هذه العشر كأنها تقول: لا تنشغل عن الله، اجعل الله هو العظيم الذي تعظمه والمحبوب الذي تشتاق للقائه واشغل فكرك به، هذه أهم علامة في صلاح هذه الأيام، أن ينشغل قلب العبد بالله فيخرج هذا الانشغال الذي في القلب على اللسان ذكرا لأن كل مَن يحب ويعظم فلابد أن يذكر محبوبه، لا يحتاج أن يذكّره أحد بمحبوبه، لا يغفل عن محبوبه إلا فيما ندر، فتصبح العشرة الأيام هذه كأنها تمرين على أن ينشغل القلب بالله، وكونوا مطمئنين: إذا انشغل القلب بالله فلابد أن يظهر هذا على الجوارح ومن أهمها اللسان. أخبروني: مَن الذي يكثر من قول: اللهم أحسن لي الخاتمة؟ الذي يحمل همها، الذي مشغولٌ قلبه به. أما الشخص اللاهي الذي ينسى اللقاء، لو قال له أحد: قل اللهم أحسن لي الخاتمة، فيقول لك: "لا تتفاول علي"!

حتى يواطئ القلب اللسان: سأراقب تفكيري، اهتماماتي.

راقب عقلك الذي في قلبك {لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}[1] راقب هذا القلب الذي يتقلّب ويهتم بشيء كل حين، يصفو حينا وينقلب حينا. راقب قلبك واهتماماته وانشغالاته وأدخله مسجد تأديبي، كلما استجاب لخاطرة ردّه. افترض أنك تكبّر وأنت تطبخ، تجد نفسك تترك التكبير والتركيز فيه وتفكر في الذي يفور على النار! أرجع قلبك عن التفكير في شيء يمكن أن يعمل بدون تفكيرك.

نحن عندما نكون مهمومين ونطبخ ونحن ماهرون في الطبخ نجد أننا نقوم بالعمل بطريقة أوتوماتيكية-كما يعبّرون-، نقوم بالعمل كما هو وعقلنا يفكر في شيء آخر؛ أي أننا يمكن أن ننفصل عن الأشياء التي نعملها بأيدينا وتبقى قلوبنا متعلقة بالله.

المطلوب: أدّب قلبك من الخواطر واقطعه عن التعلق بالخلق. لا تكذب على نفسك وتقول إنك متعلق بالله ثم كلما أهمّك همّ بحثت عن أحد تتصل فيه وتسأله-ليس سؤال استفتاء-إنما مثلا تمر بك أزمة مالية ثم تتصل بشخص تسأله، تمد يدك له. أين قولك عن أن الله الرزاق؟

لا تكلمني عن الأسباب التي تقطع بينك وبين الله، فالله هو الأول السابق للأسباب، الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، هل ربنا أولا أم الأسباب؟ إذا كان ربنا أولا فلماذا لا يكون الفزع له أولا قبل الأسباب؟! لماذا مباشرة أول ما تأتيك أزمة تذهب

(1) [سورة الحج: 46]

لفلان وعلان؟ لا تكذب على نفسك وتقول بأن قلبك متعلق بالله ومشغول بالله ثم ما إن تأتيك الأزمة والاختبار إلا وتجد قلبك فزع وأول ما فزع لغير الله! أما عندما يكون الفزع أوله لغير الله فلا تسأل عن هؤلاء كيف يفزعون لحظة الموت، لا تسأل عن هؤلاء وقت الفزع الأكبر، لقد فزعوا في الدنيا لغيره فيستحقون ما يأتيهم، الفزع الأول لا يكون إلا لله ثم هو يسخر لك الأسباب ويشرح صدرك لها، هو الأول الذي ليس قبله شيء.

اتفقنا أن نقوم في هذه الأيام بمراقبة تفكيرنا، لا تأخذك الخواطر بعيدًا، لا تجري خلفها. تجد أنك تكمل بلسانك (سبحان الله وبحمده) مائة مرة وأنت لا تدري ما قلت! ثم تستثقل الإعادة! ونحن نعرف أن (سبحان الله وبحمده) لا تأخذ 3 دقائق منا، وهي سبب لمغفرة الذنوب ولو كانت مثل زبد البحر. كيف نخرج خسرانين وتمر الدنيا علينا ونحن مسافرون إلى ربنا وأبداننا دوابنا وقلوبنا هي جوهرنا الذي نريد أن نوصله لربنا، ألسنا كلنا نقول: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[1] أي أنك مسافر، وهذا البدن مجرد دابة تحمل القلب، وتريد أن تذهب إلى ربك فتأتيه ومعك قلب سليم.

لنسأل أنفسنا: هل قلوبنا التي تخدم أبداننا أم أبداننا التي تخدم قلوبنا؟

الواجب أن تكون أبداننا خادمة لقلوبنا؛ أي أن بدنك يخدم قلبك فيتنبه للصيام فيصوم البدن فيحيا القلب. البدن يسقي القلب بالإيمان وأسبابه، لكن تصور أنك تقوم ليلة الخميس ثم تقول لبدنك: سأصوم، فيقول: لا، سوف أصدع وأتعب! فيصبح البدن بدلا من أن يكون خادمًا للقلب، يصبح القلب خادمًا للبدن. مثل شخص اشترى لنفسه دابة، المفترض أنه هو الذي يركبها، ثم فوجئتم بأنه مشى والدابة على ظهره! تستعجب منه. هذا البدن خُلق لك لتحمل فيه القلب وتصل إلى الله به وليس العكس، وليس معنى هذا أن تمشي وتمشي وتشدد على نفسك وتنقطع بك السبل؛ لأن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((إن المُنبتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ ولا ظهرًا أَبْقَى))[2] لكن امشِ على الطريق الصحيح على السنَّة، وعندما تمشي على طريق السنَّة تفهم أن بدنك عبارة عن دابة، وحين تدخل القبر تذهب الدابة وتنتهي، مثل حين تقص شعرك، تقص ظفرك، الجزء الذي أخرجته لا علاقة له بك ولا تشعر به. تنبت لك دابة أخرى حين تلقى الله يوم القيامة، وتصبح لها صفات أخرى، قال تعالى: {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}[3] ترى الملائكة والجن والمواقف العظيمة، لم يكن عندك البصر الأول، فالدابة هذه ستتغير، ويبقى القلب الذي هو الجوهر، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.

(1) [سورة الشعراء: 89]
(2) السنن الكبرى للبيهقي، قال الألباني ضعيف.
(3) [سورة ق: 22]

فإذا كانت القضية بهذه الطريقة فلابد أن لا يكون قلبك خادمًا لبدنك. تريد أن تقوم الليل فيقول بدنك لقلبك: خذ غفوة قليلا! فقلبك يقوم بخدمات للبدن ثم يمرض، ويميل للدنيا، ويحبها، ولا يرتاح البدن إلا عندما يأخذ شهوته، والقلب يقول: سمعًا وطاعة! وبذلك يهلك البدن والقلب.

لكن بدنك مجرد دابة توصلك إلى الله وأنت سليمًا، لا تجعل قلبك خادمًا لبدنك، فحين يأتي بدنك-نفسك-وتخطر عليها الخواطر وتدخلها لقلبك، قم بإيقاف الخواطر، ولا تجعل كل همك ماذا تأكل وتشرب، فالذي تملكه من بدن سيذهب.

- لا تشتغل إلا بما يجب عليك الشغل به وهو الله ولقاؤه ورضاه ومحبته.
- فكّر: ما منزلتي عند الله؟ ما مكانتي؟
- أليس الذاكرين يذكرهم الله؟ أليس الشاكرين يشكرهم الله؟ أليس الراحمين يرحمهم الله؟ أليس مَن يفرج عن أخيه كربة يفرج عنه الله؟
- انظر ما مكانك وأنت مَن؟ لا تهتم بمن أنت عند أهل الأرض، الأهم **أنت مَن في السماء؟**

ولو فكرنا بهذه الطريقة لن نصبح خدمًا لأبداننا، بل ستصبح أبداننا خدمًا لقلوبنا، فعندما تريد أن تصلي وتجد نفسك كسلت، تقول: أنت يا بدن وُجدت أصلًا لتخدم قلبي وتسقيه بالإيمان فاسجد واركع. فما إن تأخذ نفسك بذلك إلا تستقيم لك نفسك.

## هذه العشرة فرصتنا

- ليواطئ اللسان القلب.
- وليمتلئ القلب إيمانا.
- وليسير البدن إلى الرحمن ليحمل قلبًا سليمًا.

والقلب السليم لا يكون إلا بالشعور بالحقائق التي سيلقاها، التوفيق من الله، نبذل جهودنا في هذه الليالي بأن ندعو الله أن نُوفق في هذه العشر لطاعته-سبحانه وتعالى-والانتفاع من هذه الفرصة العظيمة.

ونسأله-سبحانه وتعالى-أن يتقبّل أعمالنا لأن هذا أهمّ الهموم. بعد أن تعمل لا يستكين قلبك، أهم الهموم أن يقبلك الله، فنسأل الله-عزَّ وجلَّ-لنا جميعا أن نكون من المقبولين، اللهم آمين.

# اللقاء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثاني في موضوعنا:

(ولياليِ عشر)

وأمس خلال اللقاء قررنا مجموعة من المفاهيم كان أهم مفهوم اتفقنا عليه: أننا في رحلة إلى الله-عزَّ وجلَّ-، تحمِلنا أبداننا، ونريد أن نصِل إلى الله تعالى بقلب سليم، فأنت عندك راحلة وهي بدنك وعندك جوهر تريد أن توصله سليمًا وهو قلبك، وكل واحد فينا يتصوَّر هذه الصورة من أجل أن يعرف: هل قلبه يخدم بدنه؟ أم بدنه يخدم قلبه؟

بمعنى هل راحلته تخدم الجوهر الذي يحملها أم الجوهر هو الذي يخدم الراحلة؟ وهذا كل واحد له حالته التي تخصه.

حين وهبك الله-عزَّ وجلَّ-قلبًا ووهبك بدنًا، ما دور البدن للقلب؟ خادم له.

- فالبدن يسمع لكي يمتلئ القلب نورًا.
- والعين ترى لكي يمتلئ القلب نورًا.
- واللسان يتكلم ويذكر لكي يمتلئ القلب نورًا.

فالنقطة البيضاء التي نريد أن نضعها في قلوبنا وسيلتها: أبداننا؛ إذا أطاع ببدنه نُكِتَ له في قلبه نكتة بيضاء، وإذا عصى ببدنه نُكِتَ له في قلبه نكتة سوداء.

أنت مؤكد لو رأيت شخصًا عنده راحلة من البهائم يركب عليها، جمل أو خلافه، وجدته يسير وراحلته على ظهره، هو الذي يحمل راحلته وليست راحلته هي التي تحمله! ماذا ستقول عليه؟ ستتعجب! وسترى أنَّ هذا أمرٌ مخالفٌ للعقل؛ لأنَّ أي واحد عنده عقل لابد أن يعرف أنه حين يشتري الراحلة هي التي ستحمله وليس هو الذي سيحملها.

فبدنك هو الراحلة وستأتي لحظة ستتبدل راحلتك، حين يدخل الناس قبورهم تنتهي أبدانهم، ثم ينشئ الله-عزَّ وجلَّ-لهم أبدانًا جديدة، لها صفات لم تكن أولًا، يُصبح بصره حديدًا، يسمع ما لم يكن يستطع أن يسمعه أولًا.

ما الذي يبقى ما دام أن البدن سيتغير؟ القلب، روحك هي التي تبقى.

فإذًا أتى بدنك خادمًا لقلبك، والرحلة التي نسير فيها طويلة، نقطع فيها الأيام والليالي لكي **نصل إلى ربنا ومعنا قلب سليم**؛ لأن الله قال: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[1].

## ما دليل سلامة القلب؟

لكي تبدئي الكلام جيدًا تقولي:

- دليل سلامة الأذن السمع.
- ودليل سلامة العين البصر.
- ودليل سلامة اليد البطش.
- ودليل سلامة القدم السير.
- ودليل سلامة اللسان الكلام.
- إذًا ودليل سلامة القلب؟ الشعور.

الذي قلبه لا يشعر إما قلبه ميت وإما مريض؛ لأنكم تعرفون هذا الشيء في حواسِّنا لو كان البصر مريضًا يضعف البصر، ولو عندك زكام تفقدي حاسة الذوق والشم، إذًا حين تمرض، الأعضاء يقلُّ إحساسها، وعندما يمرض القلب يقل إحساسه بالغيبيات.

يعني القلب الحي يشعر بالأخبار الغيبية، والقلب الميت أو المريض لا يشعر إلا بما يشعر به البدن، فقط ما تشعر به الراحلة؛ **لأنه أصبح كتلك الصورة**: إنسان يحمل دابَّته على ظهره، قلب يحمل بدنه عليه، فصار لا يحس بالحقائق الغيبية، إنما يحس فقط بما يحس به البدن.

## خرجنا بنتيجة بعد ذلك: متى يكون القلب حيًا؟

**إذا شعر بالغيبيات وليس الماديات؛ لأنَّ الشعور بالماديات وظيفة البدن والشعور بالغيبيات وظيفة القلب.**

أنت لست ممدوحًا بالشعور بالماديات، الشعور بالماديات يشترك فيه كل الناس، لكن أنت ممدوح بماذا؟ قال تعالى: {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى} لمن؟ {لِلْمُتَّقِينَ} أهم وصف {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}[2].

---

(1) [سورة الشعراء: 89]

(2) [سورة البقرة: 1-3]

هذا وصفك: إذا كنت حيًّا، تؤمن بالغيب.

أول ما تسمعين كلمة الغيب عقلك ينتقل مباشرة إلى الله العظيم، وكنا أمس اتفقنا: أنَّ الله العظيم المنَّان مِنْ مِنَّتِه على خلقه أن سبَّب لهم أسباب زيادة الإيمان. وحين تسمعين منّان أي: مِن مِنَّتِه سبق فضله طلبك.

لا يوجد أحد تأمل فقال: يا ليت ربنا يعطِنا عشر أيام نجتهد فيها ونعمل!! هو-سبحانه وتعالى-ابتدأنا بالمنَّة. ما معنى المنّان؟ الذي يعطي النوال قبل السؤال. أين المنّة؟

- منته في الدنيا وفي الآخرة. **في الدنيا**: يعطيهم عطايا من الدنيا دون أن يطلبوا، مثلًا: يقربهم إلى أعمالهم، يشرح صدور الناس لهم ليشغلوهم.
- المنّة الخاصة على أوليائه، دليل رضاه، أن يسبِّب لهم أسباب زيادة الإيمان من أمر خارج عن قدرته تمامًا.

## وأسباب زيادة الإيمان للخلق نوعان:

1. نوع كلنا نشترك فيه، مثل: عشر ذي الحجة؛ كلنا نشترك في أن الله تعالى منّ علينا بأسباب يزيد بها إيماننا.
2. وهناك أسباب تزيد إيماننا تخص كل واحد فينا، مثلًا: يجعلك جارًا للمسجد فكل يوم تسمع الآذان وكل يوم تقوم مبكرًا للصلوات وكل يوم تصلي الفجر حاضرًا؛ لأن صوت المؤذن في أذنك، مِن مِنَّته ليحفظ عليك قلبك، فهو الذي يمنُّ بأسباب الإيمان التي تخصك أو تعمّ الناس. يمنّ عليك بأن تكون جارتك ممن يحفِّظ فتدخل في الأسبوع بيتك مرتين تحفِّظك أو جيرانك جماعة المندوبية أو مدرسة التحفيظ...إلخ أي مكان فيه خير وعلم بحيث أنه لا يحتاج الأمر إلا أن تعزمي وتتقدمي، فهذه منن تخص الناس.

**وهناك منن عامة على أوليائه** أيضًا مثل عشر ذي الحجة، رمضان، يوم الجمعة، هذه منن تخصّ أولياءه، عامة في كل الأولياء.

ما وجه أنها منّة؟ لأنَّ من ينتفع منها يزيد إيمانه.

فمثلًا: غدًا نحن مقبلين على الجمعة، هذا اليوم خير أيام الأسبوع، **ماذا يجب أن يكون في قلبك؟**

هذا يوم يحبه الله، هذا يوم ساعاته مباركة، هذا نهار فيه صلاة مشهودة، إلى آخر ما تعرف عن يوم الجمعة.

**ماذا تشعر تجاه يوم الجمعة؟** أنه عظيم، وأنه من منّة الله تعالى على المسلمين، كل أسبوع فيه يوم تخلو بربك، وتفعل أفعالًا يطابِق فيها لسانك قلبك. لأن أشهر فعل نقوم به يوم الجمعة، كلنا مشتركون والمسلمون مشتركون رجالا ونساء، نساء معذورات

أو غير معذورات، الصلاة على الرسول-صلى الله عليه وسلم-، فتجدي أن يوم الجمعة شعاره: الصلاة على الرسول-صلى الله عليه وسلم-، والصلاة على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-فعل يدل على أنك مؤمن بالله تعالى، قابل لشريعته-سبحانه وتعالى-، راضٍ عن الله تعالى، راضٍ بدينه، راضٍ عن نبيه-صلى الله عليه وسلم-، فالصلاة على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-جمعت الثلاثة أمور: (رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد-صلَّى الله عليه وسلَّم-رسولًا)، فلما تصلي على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-تقول: يا رب اثنِ عليه وأنا مؤمن أنه من عندك رسول وأنه جاء بالحق وأن ما معه حق.

انظري بأي نتيجة يخرج من صلَّى على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-إذا واطأ اللسان القلب؟ يزيد إيمانه.

فأنت أول الأمر لابد أن تعرف أن هناك عبادة مهمة حين تُقبل علينا مواسم الطاعة؛ وهي عبادة التعظيم لهذه المواسم، هذه العبادة عبادة الثناء على الله تعالى والشعور بمنته، أن تشعر بمنة الله تعالى أن أعطاك فرصة تتضاعف فيها الحسنات وتمحى فيها السيئات، ويجتمع اللسان مع القلب فيعبّر عن صدق إيمانه، وتستخدم الراحلة فيما أُمرت أن تستخدمها فيه. **هل تعرف سبب وجود بدنك؟**

- إن كان لسانا لذكره.
- وإن كانت عينان فللنظر في آياته الشرعية والكونية والتفكر.
- وإن كانت أذنان لسماع الحق وما يتصل به.
- وإن كانت يدان فلرفعها بين يديه والذل له-سبحانه وتعالى-
- وإن كانت قدمان فللسعي إلى رضاه (زيارة مريض، الصلاة،....الخ)
- وأنت بدن كامل من أجل أن يُنار قلب تحمله.

فإن ذكرك بلسانك نقطة بيضاء في فؤادك، نظرك إلى آياته الكونية وآياته الشرعية نقطة بيضاء في قلبك، فهذا البدن وهبنا الله تعالى إياه بكل قدراته من أجل أن نصل بقلوبنا وهي سليمة إلى ربنا، وما يُوفَّق إلا من وفقه الله تعالى.

## المُوَفَّق مَنْ وَفَّقَهُ الله

وهذا الموفق هو من يكون قلبه صادقًا في إرادة الحق، صادقًا يريد رضا الله، الله-عزَّ وجلَّ-يسخِّر له بدنه.

ولذلك انظر حين تصير معركة بينك وبين بدنك في الثلث الأخير من الليل، تفتح عينيك وقلبك يقول لبدنك: قم، هذا وقت نزول الإله، قم كيف ينام في هذا الوقت من له حاجة؟! فبدنك يكسل ثم تقاومه وتقاومه وتقوم، حين تقوم أول يوم ينفعك

قيامك أول يوم، ثاني يوم ماذا يحصل؟ يقوى قلبك على بدنك ويبقى الجهاد، إلى أن تستمر سنة، سنتين، ثلاثة، أربعة، عشرة، ثم لا يخيب من جاهد، يصبح البدن عبد القلب، حين تكبر في السن ماذا تجد؟ تجد نفسك تقوم الليل بدون ساعة، في سفر، في حضر مُجهد، أي شيء تقوم الليل؛ العلة: أن البدن أصبح خادمًا للقلب، مشى على الطريق المستقيم.

تصوم وتصوم وتترك هوى نفسك وتترك بدنك الذي يقول: تعب تعب إلى أن تجد بدنك خادمًا لقلبك يصوم مباشرة إلى أن تصل إلى أن **تستمتع بالعبادة** بالصيام، بالقيام، بقراءة القرآن، بذكر الله.

**لكن أين الاستمتاع؟** حين **تنتهي المعركة بين بين القلب والبدن**، حين نرى: مَن سيّد مَن؟ لأنك ما وُهبت هذا الذي ستتركه إلا من أجل أن يخدمك هنا، فليس معقولًا أن يكون الخادم هو السيد ويلقي عليك أوامره، وهذا لو صار في مواقف في الحياة وعندك مستَخدم تحت يدك وأصبحت تجده قد ألقى عليك الأوامر، هذا الشيء لا تحتمله أبدًا! فكيف حين يكون البدن هو الخادم والقلب هو السيد والبدن هو الذي يأمر وينهى؟! هذا بدنك ستنقطع معه العلاقة كما تمسكين بشعرك وتقصينه، ماذا يصير في الجزء الذي رميتِه؟ لا توجد علاقة، يدخل الإنسان قبره يبقى جوهره الذي هو روحه ويذهب البدن يأكله الدود ثم يقوم الناس إلى ربهم، وهذا موقف القيامة يمطر الله–عزَّ وجلَّ–مطرًا كمنيّ الرجال، فتنبت الأبدان كما ينبت النبات، ثم تأتي النفخة الثانية ماذا يحصل؟ تلتقي الأرواح بالأبدان لكن الأبدان التي نشأت، نشأت نشأة أخرى ولها قوة أخرى، لها قوة الخلود، تخلد لا تفنى، لا تذهب أعضاؤها، لا يحصل هذا كله، تسمع ما لم تكن تسمعه ترى ما لم تكن تراه.

إذًا هذا بدنك مثل قطعة الشعر مثل الأظافر إذا خرج منك لا تحس به، **من الذي يبقى؟ القلب، هذه الروح إما زكّيتها وإما دسّيتها**. {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)}[1].

كيف يزكيها؟ يجعل البدن خادم لهذه الروح (للقلب)، البدن خادم لهذه النفس، لا أن يدسِّيها وتصير هي العبد ويصير البدن هو السيد.

دعونا نعمل عملية مراجعة: نحن نقوم في الفجر ونصلي نفترض أنا نصلي الفجر ثم بعدما ننتهي من صلاة الفجر تأتي الأذكار، يجد الإنسان بدنه جالسًا في مكانه لكن ليس عنده القوة القلبية التي يحرك بها لسانه لقول الأذكار، تأتي علينا مراحل مثل هذه! ما الذي يسيطر علينا؟ البدن يسيطر علينا، حتى إني مستيقظة لست نائمة لكن لهذه الدرجة البدن استطاع أن يغلبني ولا أقول الأذكار بلساني، أحس أن اللسان ثقيل، **لابدَّ أن تمرنه؛ لأنه ستأتي اللحظة الذي يسكر فيها العقل ولا يبقى إلا الذي مرنته عليه**، تذهب العقول ويبقى الشيء الذي مرنته عليه؛ ولذلك يتداول السلف دائمًا:

(1) [سورة الشمس:7-9]

## (من عاش على شيء مات عليه)

أنت تمرّنه لكي تسهل عليك كلمة لا إله إلا الله في ذلك الموقف العظيم الذي لا ينفع فيه أحدٌ أحدًا، نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن نكون من أهلها ويُحسن لنا الختام وينفعنا بهذه الكلمات.

المقصود: نبذل والله تعالى هو الموفق، ومن أعظم الكلمات التي سنقولها بإذن الله-عزَّ وجلَّ ونحن نقولها-لكن سنقولها أكثر حين تدخل علينا العشر، ما بيننا وبينها إلا ليلة أو ليلتان، أكثر كلمة نقولها:

## (التكبير)

فهي فرصتنا في هذه الأيام لتعظيم الله.

كيف يأتي التعظيم؟ بذكره.

أي ذكر نقول؟ نكبِّره.

ما المطلوب؟ أن يتواطأ القلب مع اللسان وقتما نقول هذه الكلمة؛ لأنَّه كما تعلمون العمل المشترك بين كل الناس في هذه الأيام هو الذكر، حتى الحجاج أحب الأعمال إليهم كثرة ذكره، لكن يختلف لأنهم سيلبون وسيكبرون، لكن غيرهم سيبقى التكبير هو شعارهم، هم يشتركون معنا في التكبير لكن تدخل عليهم أمور أخرى.

كنا أمس اتفقنا ونبّهنا بعضنا بعضا: انتبه لا تختلط عليك الأمور، لا تأتِ عليك الأيام العشر كونك في إجازة، وكونك ما عندك ارتباطات، تدخل عليك العلاقات بالناس ويدخل عليك التشويش، ابذل جهدك.

ماذا تفعل؟ انظري كيف نفعل في أيام اختبارات أبنائنا، بهذه الصورة وأشد، عليك بالمحافظة على الزمن، أنت مسافر إلى الله-عزَّ وجلَّ-، والطريق الذي تقطعه هو الأيام والليالي، ولابد أن تعرف أنك إذا كنت حقًّا تريد أن تحافظ على أيامك ولياليك.

وعندك نوع معين من الاختبار والامتحان، أنت مختبر بأن الناس يحكون لك مشاكلهم مثلًا، فأنت تأتي في العشر وتقول: سأقفل كل شيء، سأقفل هواتفي، سأغلق كل شيء لأحافظ على نفسي، فتُختَبر في هذه المسألة لا أحد يكلمك بالهاتف ولا أي شيء، فتأتي جارتك تدق الباب! نفس الاختبار، يمكن أن تغلقه من هنا يأتيك من المكان الآخر، ماذا تفعل؟ أظهر لربك أن خفّف عني يا رب، ادفع عني يا رب، احفظ لي الأيام والليالي، الموفق هو من وفقه الله تعالى.

كل واحد منّا عنده ابتلاءات يُبتلى ببلاءات لكن أعظم البلاءات هي البلاءات التي تشغلك عن دينك، هذه هي المصيبة في الدين. المصيبة في الدنيا تخسر كذا، ينقص عنك كذا، كله فيه عوض إلا حين يأتي الإنسان ويجد القوم قد فازوا وسبقوا وهو معطّل، ما انتفع!

ولا تقل لنفسك: ما لم ألحقه في هذه السنة سألحقه السنة القادمة، ليس لأجل الموت فقط، لكن من أين لنا قلب؟ من يضمن لنا قلبنا أن لا يتقلب؟ من قال إنك حين تخسر قلبك هذه السنة معناها أن تجد قلبك السنة القادمة؟! أنت حين تخسر السنة معناه زاد قوي كان سيزيد إيمانك ذهب، فتأتي السنة التي بعدها أضعف ولست أقوى.

كيف سنفكر في هذه الأيام؟ سيكون أهم عمل على الإطلاق نقوم به بالإضافة إلى بقية الأعمال هو: الذكر.

أي ذكر نريد؟ الذكر الذي يواطئ فيه القلب اللسان.

**أي يكون قلبك حاضرًا وأنت تقول: (الله أكبر) تعظيما له–سبحانه وتعالى–.**

سنقضي الوقت الباقي في مناقشة هذا الاسم العظيم الذي يتضمن كلمة **(الله أكبر)**، يعني أنت حين تقول الله أكبر كأنك ماذا تقول؟

- أنا اعتقد أن الله هو الكبير، فهو الكبير إطلاقًا.
- أعتقد أن الله هو العظيم، فهو العظيم إطلاقًا.

كنا أمس تناقشنا: أنك حين تعيش هنا في الدنيا وقلبك مليء بالهموم ومليء بالآلام ومليء بالأحزان، ماذا تفعل بقلبك حين تدخل على العشر؟

**أخرج الذي في قلبك**، همومك وآلامك وأحزانك ومخاوفك وكل شيء، **وقل لها كلها: (الله أكبر)!**

خائف من هذا أن يخرجك، خائف من هذا أن يبعدك، متعلق وتريد هذا وبعيد، تريد أن تمد يدك لا تستطيع تأخذه، انظروا هكذا الحياة حولنا، وهذا ولدنا لم يهتدِ، وهذا زوجنا لم يهتدِ، وهذا بيتنا فيه نقص، وتصلح من هنا ويخرب من هنا، وأنت لم تفهم الدنيا، الدنيا لابد أن تكون هكذا نقص وراء نقص؛ لأجل أن تقول بعد هذا كله: **هؤلاء كلهم بيلكهم الله، وقلوبهم كلهم بين يدي الله، وصلاحهم إنما يكون بالتوجه إلى الله.**

## ما معنى تكبير الله؟

تكبير الله ليس كلمة تقولها فقط بلسانك، تكبير الله يعني أن تعتقد أنه أكبر من كل هذه الهموم التي تعيشها، وأكبر من كل هذه المخاوف التي تخافها؛ لأن الناس لا يكتئبون ولا يشعرون بمشاعر الآلام إلا حين يشعرون بالهموم تثقل قلوبهم؛ لكن كلما زاد تعظيم الله في قلوبهم، أصبحت الهموم ضئيلة.. ضئيلة لا قيمة لها.

فمثلًا تذهب إلى مكان وكنت متفقًا مع الجماعة الذين تجدهم هناك يوصلونك، حين وصلت يقولون لك: نحن لسنا ذاهبون، فتظل طوال الوقت قلق من يرجعني؟! ماذا أعمل الآن؟ ما هو التصرف السليم؟ ليس التصرف السليم أن أذهب أكلم وأكلم وآتي بهذا، التصرف السليم وقت هذه الأزمة: أنَّه أنت يا رب أتيت بي عليك الاعتماد أنك ترجعني، الثقة كلها بك.

## في الأزمة لا تتكلم عن الأسباب، في الأزمة تكلم عن رب الأسباب.

أكلتنا الأسباب، أليس الله هو الأول قبل كل الأسباب؟ إذًا اسأل رب الأسباب أن يهبك الأسباب، نحن لا ننكر الأسباب؛ لكن نقول: من ربها؟ من مدبرها؟ من معطيها؟ إذًا اسأل ربها أن يعطيك.

وهكذا مرّن نفسك بهذه الطريقة، وإلا فلا يوجد معنى لأن تقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ}[1] إذًا أنت لا تفهم ما تقول؛ لأن الصمد معناها: (مفزعي)، سيدي ومولاي، مفزعي الذي أفزع إليه وأصمد إليه، ركني الشديد الذي ما أن تضيق بي الأمور إلا أول فزع له، إذا لم تتصرف بهذه الطريقة معناه أنك لا تفهم ما تقول!

المقصد أننا لا نقول كلامًا بألسنتنا ولا يكن واضحًا في أذهاننا ثم ندّعي أننا قمنا بأعمال صالحة، وكل واحد فينا يفعل ما يستطيع، يفعل قدر استطاعته {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[2]. لكن أنت في وسعك أن تجاهد نفسك، قال تعالى: {الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[3].

كيف؟ كيف واحد يقول: أنا آمنت أن الرزق عند الله وأنه هو الرزاق ثم لا يختبر في هذه الدعوى، (آمنا) هذه تحتها تفاصيل:

- آمنا أن الله عظيم.
- آمنا أن الله لطيف.
- آمنا أن الله كريم.

---

(1) [سورة الإخلاص: 1-2]
(2) [سورة البقرة: 286]
(3) [سورة العنكبوت: 1-2]

- آمنا أنه رزاق.

كل أسماؤه وصفاته، كل هذه بالتفصيل ماذا يقابلها؟ اختبار، الدنيا لا تمر هكذا.

فما الواجب والمطلوب؟ الواجب والمطلوب أن تعرف مَن هو الله؛ من أجل أن تكون فاهمًا لِما تقول، حين تقول: الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، بقدر ما تستطيع، أي أننا لا نريد عالمًا فاهمًا، نريد بقدر ما نستطيع أن يطابق لساننا قلبنا.

من يقول بلسانه ولا يوجد شيء في وجدانه، لا يوجد شيء في قلبه من الحقائق التي يقولها بلسانه هل ينفعه الذي في لسانه فقط؟ تذكروا أوائل سورة المنافقون: {قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} هذه حقيقة، جملة واحدة قالوها: {قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}، الجواب في جملتين:

**أولا**: على الحقيقة: (رسول الله) ما جواب هذه الحقيقة؟ {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ}.

**ثانيا**: وما جواب نشهد؟ {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[1] كاذبون في ماذا؟ في الحقيقة التي قالوها أم في الشهادة التي قالوها؟ يعني في كونهم يقولون: نحن في قلوبنا نشهد أنك رسول الله، الله يعلم أنه رسوله، لكن كاذبين في قولهم قلوبنا تشعر بهذه الحقيقة، فشيء خطير أن نقول بألسنتنا ما لا نبحث عنه في قلوبنا، شيء خطير أننا لا نفتش، ليس كل مرة نستطيع أن نواطئ قلوبنا بألسنتنا؛ لكن العشر القادمة فرصتنا، فرصتنا أن نفرغ فنواطئ ألسنتنا بقلوبنا ونحن نكبّره.

ولذلك سنقضي الوقت الباقي إن شاء الله في بيان معنى اسم الله **الكبير العظيم**.

نحن نعيش لكي نُجيب في النهاية على سؤال: (من ربك؟) فماذا بذلنا من جهد لكي نعرف من ربنا؟ ولا تظن أن الأمر هو تسميع في المدارس: من ربك؟ فتجيب: ربي الله. وينتهي الأمر! أنت تعيش كل الحياة لكي تعرف معنى ( ربي الله ) وتعيش كل المواقف وتتيقن، تعيش هنا لطفه، وهنا رحمته، وهنا عظمته، وهنا جبره، وهنا ستره، تعيش كل هذه المواقف فتعرف مَن هو ربك.

**الذي لا يعرف من هو الله لا قيمة لجميع معارفه، والذي يعرف مَن هو الله فسينتفع بقليل معارفه.**

لابد أن يقع في قلوبنا شوق لمعرفته، لابد أن يصير واحدًا من مقاصدنا، عرّف نفسه في الفاتحة إجمالًا، وأنزل على رسوله كل القرآن لكي تعرفه تفصيلا، فكيف يكون في قلب العبد حين يقرأ آية مثل آية الحشر ويسمع فيها: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

(1) [سورة المنافقون: 1]

{الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}[1] يسمع هذه الأسماء كلها ولا يعرف معانيها! ويسكن في ليله ونهاره ولا يشعر أن هناك شيء ينقصه حقًا! في المقابل، بمجرَّد أن تتحرك حاجة لبدنه مباشرة يجري من أجل إصلاحها!

على كل حال لو خرجنا الآن من اللقاء:

- بالشعور بحاجتنا الشديدة لمعرفة الله.
- وأن القلب هذا لكي يصير فيه روح ويتحرَّك ويشعر لابد أن يعرف الله

**لو خرجنا بهذا خرجنا بخير وبركة**

نقرأ من كتاب **فقه الأسماء للشيخ عبد الرزاق البدر**، يمكن تحميله من أي موقع، نريد أن نعرف هذا الاسم الذي هو:

## الكبير العظيم

**الدليل على أنَّ من أسمائه الكبير**: قال الله-عزَّ وجلَّ-في سورة لقمان: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}[2] الله هو الحق وكل ما يدعونه من دونه الباطل.

إذًا نفوسنا تعرف الله، وتعرف أن ما حولنا دونه، ما معنى دونه؟ الله هو الكبير ودونه يعني كل هؤلاء الذين حولنا الذين نحبهم حبًا جمًّا أو نعظِّمهم تعظيمًا كبيرًا، كلهم دون الله، ماذا يكونون؟ حق أو باطل؟ باطل. ما معنى باطل؟ يعني الله هو الحق، وكل أحد غيره باطل مهما ظننت.

دعونا نفهم هذه بالذات؛ لأن هذه ستيسِّر لنا معنى الكبير، قولوا لي ما المعنى، أنت الآن عندك مصالح عند سين أو صاد أو عين من الناس، هذه المصالح محبوسة وراء هذا الإنسان، الحقيقة من الذي سيأذن لك بأخذها؟ الله-عزَّ وجلَّ-، يعني هذا الشخص ماذا يعتبر؟ باطل، من الحق؟ الله.

هذا الكلام قاله النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لابن عباس-رضي الله عنهما-: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ))[3]

---

(1) [سورة الحشر: 23]

(2) [سورة لقمان:30]

(3) (أخرجه الترمذي/كتاب صفة القيامة/باب حديث حنظلة/2516) صحيح.

الذي يقوى شعوره بهذه الحقيقة؛ لا يرى الناس الذين أمامه، والذين يحبسون ورائهم حاجاته، يرى مَن؟ يرى الله؛ فإذا انحبست حاجة العبد وراء أحد لا يتوجه هذا بقلبه للناس، بل يتوجه بقلبه لله-عزَّ وجلَّ-، لا يتوجه للباطل، يتوجَّه للحق، **والاختبار الذي نعيش فيه؟** الاختبار الذي نعيش فيه أنَّ مصالحك، ما يشرح صدرك، ما تحتاجه، شكله في الظاهر محبوس وراء الناس، لكن حقيقة المسألة من يملكه؟ الله.

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} فإذا توجَّه قلبك لغيره وامتلأ قلبك بغيره أصبح هذا باطلًا، فلا تتعلق به، لا تعظِّمه، {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.

فكل هؤلاء من دونه باطل، كلهم يمرضون، يموتون، يجوعون، يعطشون، يفقدون قواهم، ينسون، كلهم من دونه باطل {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}، فإذا امتلأ قلبك بذلك؛ ستظهر الحقيقة هذه وقت المواقف والأحداث، وقت ما يصبح هناك زحام ولك مصلحة وهذا يحبسها، ولك حق وهذا يمنعه، يعني حتى الحقوق المعنوية ما حُبِست إلا بأمره ولا أُعطيت إلا بأمره فلا يلتفت قلبك لغيره، أنت ماشٍ في هذه الحياة مختبر بهذه الحقائق، إذا زاد الإيمان أصبح الناس هؤلاء كأنهم شفافين وتعرف الحقيقة من ورائهم.

يقال: هذا صورته كأنه هو الذي في يده الأمر، وحقيقة الأمر أن الله من ورائه، هو الأول والآخر، فحين تقف عند أحد يقول لك: المرض الذي عندك هذا ميؤوس منه هذا ما أحد يستطيع أن يعالجه. فهذا كلام الذين من دون الله، الذين هم الباطل، لكن قلبك يذهب إلى أين؟ إلى الآخر، ليس هؤلاء الناس هم الآخر، ليس هؤلاء الناس هم آخر آمالك، إنما حقًا آمالك عند الأول الذي ليس قبله شيء، عند الآخر الذي ليس بعده شيء.

إذًا {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} أي أحد غير الله باطل، فقلبك لا يدعو لا يميل لا يتعلق لا يعظِّم غير الله، وعلى ذلك همومك أحزانك آلامك اهتماماتك كلها ضعها عند الله، واجعل الله-عزَّ وجلَّ-هو مقصدك الذي تقصده وهو ملجؤك، لِما في قلبك من تعظيمه.

أيضا في سورة غافر ورد هذا الاسم: {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ}[1] وهنا فيه إضافة، يعني هناك في آية لقمان عرفنا أن هناك الله الحق، وهناك من دونه الذين هم اختبار لك، ماذا يقال لك؟ الله هو الحق فقط، كل أحد دونه باطل، وأن الله هو العلي الكبير، إذًا اجعله هو العلي الكبير واعرف أن كل أحد دونه باطل.

هنا الحكم في كل شيء، في كل مسألة سواء كان الحكم الشرعي أو الحكم القضائي (القدري)، لله العلي الكبير.

(1) [سورة غافر: 12]

ولهذا لو فهمت جيدًا أن لقمة قد كُتبت لك حكم الله بها لك، لو اجتمعوا أن ينزعوها من يدك ما استطاعوا، الحكم لمن؟ الحكم لله العلي الكبير، فلا تخشَ على رزق قد كُتب لك أن يفوتك، ولا تتأمل في رزق لم يُكتب لك أن تذوقه، وبذلك تسْكن، تهدأ، لا أحد يخيفك، لا أحد يجعلك تمشي في الباطل.

فلو أردت أن تشتري شيئا (مثلا سيارة)، ويقال لك: هذه فرصتك، لو ما اقترضت من البنك قرضًا ربويًا ذهبت عليك الفرصة، ذهب عليك نصف عمرك. يخيفونك بمن هو دون الله! فماذا تقول؟

كلكم باطل، الله لو حكم أن هذه السيارة لي سييسِّر لي الأسباب أن أحصل عليها، ولو كانت ليست لي لن أمشي في طريق الخطأ، **فالذي يمتلئ قلبه إيمانا بأن الله هو العلي الكبير يعلم أن الحكم له**، كبّره وعظّمه أنَّ الحكم له، هو الله أكبر من كل الخلق ولو اجتمع كل الخلق لمنع أو إنفاذ حكم لم يحكم به الله ما كان. وهذا مما يطيِّب خواطر الناس {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ}[1] لا تأسَ، لا تمر كل مرة من جانب البيت الذي تمنيت أن تشتريه ولم تجده وتتحسر، لا تأس على ما فاتك، هذا ما كُتب لك، لو كتبه الله لك وداروا واجتمعوا سيدور ويعود لك، لكن كن أنت واثقًا فيه؛ ليريك آثار كمال صفاته، اعلم أن الناس يعيشون في الدنيا على نوعين كما وصف-سبحانه وتعالى-:

**أحدهم**: يمشي مكبًّا على وجهه، أعمى، ما معنى كلمة مُكِبًّا على وجهه؟ يعني لا يتبصَّر مُكبٌّ على وجهه، يعني عنده بصر لكن قلبه لا يرى الحقائق، أعمى.

**الثاني**: يمشي سويًا على صراط مستقيم، يرى الحقائق كما هي، ويطمئن نفسه، والله لو كانت لقمتي كنت أكلتها، لو كان لي كنت وجدته، إلى أن تسكن نفسك.

إلى أن نأتي إلى قوله تعالى في سورة البقرة: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[2] هذه الآية في آية الكرسي، مطلعها (**الحي القيوم**)، ما معنى الحي القيوم؟

**الحي** الذي لم تسبق حياته بعدم ولا يلحقه زوال-سبحانه وتعالى-.

**القيوم** يعني القائم على كل نفس بما كسبت، قائم بنفسه-سبحانه وتعالى-، قائم على خلقه.

---

(1) [سورة الحديد: 23]
(2) [سورة البقرة: 255]

**الحي القيوم** حين يقوم على خلقه–سبحانه وتعالى–فيقسم لهذا، ويمنع هذا، ويأمر قلب هذا أن ينبض، ويأمر رئته أن تتنفس، لا يوجد ساكن إلا يسكن بأمره، لا يوجد متحرك إلا يتحرك بإذنه، إذا لم يكن هو العلي العظيم، إذا كان أحد يشاركه في علوه وعظمته؛ ما استقامت حياة الناس، ولا رأيت التدابير العظيمة في أرزاق الخلق، ولا رأيت هذا البيت يقوم على هذا الشخص، وهذا يعطيه، وهذا يمنعه، ما رأيت كل هذه التدابير العظيمة، لكن لأنه هو وحده العلي العظيم تنفذ قيّوميته وتدبيره في كل الخلق.

ولهذا حين تقرأ آية الكرسي عِد على نفسك دائمًا هو من؟ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ثم (له ما في السماوات) ماذا يعني؟ له الملك فهو الملك الذي يتصرف في ملكه، قادر على أن يعطي من أراد وأن يمنع من أراد–سبحانه وتعالى–.

**المقصد الآن أنَّه–سبحانه وتعالى–هو العلي الكبير، هو العلي العظيم، وكل هذا يأتي في سياقات وصفه–سبحانه وتعالى–بالكمال ووصف غيره بالنقص.**

نأتي إلى تفصيل معنى هذا الاسم: يقول الشيخ عبد الزاق: "أي الذي له الكبرياء نعتًا، والعظمة وصفًا، قال الله تعالى في الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار".

الكبرياء يعني **اسم الكبير من معانيه الكبرياء**، حين نأتي إلى الكبرياء بالذات ونقول إنه وَصْف الله، ونحن نشعر تجاه كلمة الكبرياء حين تكون وصفًا للناس نشعر أنها صفة نقص بالنسبة للناس.

ما معنى الكبرياء في الأصل؟ في الدنيا حين يتكبر أحد على أحد يرى نفسه كاملًا وهم ناقصون، ويرى أن له حقوقًا عليهم وهم ليس لهم حقوق عليه.

مرة أخرى... الكبر في الدنيا صفتين:

1. أن يرى نفسه كاملًا والناس ناقصين.
2. أن يرى أن هو له حق عليهم وهم ليس لهم حق عليه.

هل يوجد إنسان في الدنيا يصلح له هذا الوصف، يعني هل يوجد واحد كامل؟ واحد له حقوق وليس عليه واجبات في الدنيا؟ لا.

إذًا هل هذه صفة لائقة بالخلق؟ لا.

**ننظر إلى ربنا العظيم... ماذا تقولون في وصفه؟**

**الأولى**: هو الكامل وكل أحد غيره ناقص.

**الثانية**: له الحق العظيم على عباده كلهم وهم ليس لهم عليه حق، إنما تفضّل-سبحانه وتعالى-على خلقه، تفضّل على خلقه فأوجب على نفسه حقًا، لكن هو في الأصل ليس لأحد من الخلق حق عليه.

فيصبح: ((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))[1]، لماذا؟ رحمة من الله بالخلق لأنه لو كان أحد غير الله العظيم الكريم الرحيم الودود اللطيف كان له الكبرياء والكمال، كان ماذا فعل بالخلق؟ كان أفسدهم؛ لكن الله وحده هو الذي له الكبرياء؛ ولذلك يعاقب من تكبَّر عقوبة عظيمة من أجل أنَّ الذي يتكبَّر يؤذي خلقه، لكن هو له الكبرياء-سبحانه وتعالى-، يعني له الكمال المطلق ومن كماله كمال رحمته وسعة جوده وعظمة لطفه، خزائنه ملأى، يده سحَّاء الليل والنهار، إذًا هو له الكبرياء، ويستحق أن يكون له الكبرياء، وأي أحد غير الله ناقص الصفات ولابد، يكفي أن عينه تغلبها النوم، يكفي أن هذا العبد الضعيف يصيبه المرض، يهرم، يموت، كل هذا مما يدل على نقصه.

إذًا ((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي)) لابد أن نفهمها جيدًا، ونفهم أنها صفة كمال لله، وأنَّ من رحمة الله أنَّه حذر عباده من أن يتصفوا بهذه الصفة، من رحمته بنا؛ لأنه لو أحد مارس علينا هذا الكبر، أفسد علينا حياتنا، وكل المتكبرين كيف يعاملهم الله عزَّ وجلَّ؟ يهينهم فيصبح يوم القيامة يوم الحشر كأمثال الذر تطؤهم الناس بأقدامهم، هذا في الحشر قبل أن يلقوا عقابهم، لماذا؟ نازعوا الله في صفة وآذوا عباد الله، لابد أن يكونوا آذوا عباد الله، لكن حين يكون الله كامل الصفات له الكبرياء سيُعامِل عباده بما له من كمال صفات.

**إذًا ما معنى الكبرياء؟ كامل الصفات وله حق على الخلق، وليس للخلق حق عليه إلا حق تفضل به على الخلق.**

ومعاني الكبرياء والعظمة نوعان:

أحدهما يرجع إلى صفاته-سبحانه-، وأن له جميع معاني العظمة والجلال، كالقوة، والعزة، وكمال القدرة، وسعة العلم، وكمال المجد، وغيرها من أوصاف العظمة والكبرياء.

(1) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه. تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

الأمر الأول يرجع إليه-سبحانه وتعالى-وإلى صفاته؛ ولذلك هذا الاسم-اسم الكبير والعظيم-من الأسماء الجامعة؛ أي أن الله له جميع معاني العظمة والجلال في صفاته، فإذا وصفتِه-سبحانه وتعالى-**بالقوة**، تقولين: عظيم في قوته، الخلق عندهم قوة لكن الله عظيم في قوته، كبير في قوته.

الله-عزَّ وجلَّ-له صفة **القدرة**، والخلق عندهم قدرة من الله أعطاهم إياها، ماذا تقولين في قدرة الله؟ كبير عظيم في قدرته.

تكلمي عن **علمه** مثلا: ستقولين: كبير عظيم في سعة علمه.

تكلمي عن رزقه ماذا تقولين؟ كبير عظيم في رزقه.

فمعاني العظمة والجلال في كل صفاته؛ ولذلك ماذا تفعلين حين تتكلمين عن عظمة الله وجلاله عن اسمه الكبير؟ كأنك تقولين: كل صفة له-سبحانه تعالى-له منها أكملها، الخلق ممكن أن يكون عندهم كرم لكنهم ما يسعوا إلا عائلتهم إلا قبيلتهم إلا منطقتهم هذا أقصى حد عندهم، أما كرم الله فقد شمل الأولين والآخرين عظيم في كرمه كبير في كرمه.

فكل صفة تجدها في الخلق لا تظن أنها تزاحم صفة الله-عزَّ وجلَّ-، إنما هي عطية من الله للموصوف...

- وما جاد من جاد بماله إلا حين جاد الله-عزَّ وجلَّ-عليه بالمال.
- وما أكرم من أكرم إلا حين أكرمه الله.
- وما علَّم من علَّم إلا حين علّمه الله.
- ما أحسن من أحسن إلا حين أحسن إليه الله.

فهو العظيم وكلنا بين يديه أولئك الفقراء الضعفاء العاجزين الجاهلين بين يديه-سبحانه وتعالى-، فلا تجعل في قلبك لغيره مكان، لا تجعل في قلبك تعظيم لأحد، كل من تراه يعلم، ما علَّمه إلا الله وعِلم الله هو العظيم الكبير، وكل من تراه عنده مال وبجود فجوده لا شيء في جود الله فهو الذي جاد عليه وبجود الله يجود، فلا يغرك كمال الخلق، الكمال كله لله-عزَّ وجلَّ-، فاستعرض صفات الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، واجمع في قلبك أن له في كل صفة كمال أكملها، أكبر في كل صفة كمال، ولا يزاحم الخلق الذين حولك صفات كمالهم صفات كمال الله-عزَّ وجلَّ-.

إذًا: ماذا تفعل بالناس الذين حولك؟ إن وجدت في نفسك أنه يوجد منهم عظيم ماذا تفعل به؟ قلّصه، فالكبير والعظيم هو الله. وإن عظَّمت أحد ووجدت كأنك تحسّرت وتقول: (أنا لا أستطيع أن أصل إلى جوده، لا أستطيع أن أصل إلى سعة علمه) لا، من قال لك؟! اطلب الذي علَّمه يعلِّمك، أنت اطلب الذي منّ عليه بالجود أن يجود عليك، بابه مفتوح، فهذا الذي جاد ما

جاد إلا لأن العظيم جاد عليه وشرح صدره للجود، وهذا ما علَّم إلا لأن العليم علَّمه وشرح صدره للعلم، وأنت في نفس الطريق سِر.

معنى ذلك: أن اسم الكبير العظيم ستمر به على كل صفات الله، كبير في لطفه كبير في رحمته كبير في عظمته في جلاله في سلطانه، فتجعل كبير صفة لكل الصفات، ولما تجد أحد من الخلق قد اتصف بصفة تشعر أنها عظيمة فيه فاعلم أن العظيم هو الذي وهبه إياها.

ومن عظمته–سبحانه وتعالى–أن السماوات السبع والأرضين السبع في يده سبحانه كخردلة في يد أحدنا.

هذا دليل على ماذا؟ على عظمته، **عظيم**. الآن كيف ترى الأرض؟ كيف ترى الشمس؟ كيف ترى الملكوت؟ كلها تراها كبيرة، تعرف هذا الذي تراه كبيرا ماذا يكون عند الله؟

كما قال ابن عباس: "السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد أحدكم".

تعرفون الخردلة؟ انظروا لحبة البركة، أصغر منها، لو وضعتها في يدك ماذا تساوي في يدك؟ لا شيء! فالسماوات وما فيها من شموس وأقمار وكواكب ومجرات.. كل هذا الذي تراه منثورًا في السماء ما ترى منه إلا نورًا خافتًا وفي مكانه يكون عظيمًا عند الخلق، هو في يد الله كخردلة في يد أحدكم؛ **فهذا دليل على عظمة ملكه–سبحانه وتعالى–**، ومن كان هذا ملكه فماذا تقول في عظمته؟ إذا كان هذا ملكه الذي يملكه ويمسك السماء أن تقع على الأرض، ماذا تقول في سلطانه وعظمته–سبحانه وتعالى–؟ لكن{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}! هذه الأزمة الحقيقية، أنَّ القوم ما قدروا الله حق قدره ولا وقع في قلوبهم تعظيمه حق التعظيم.

إذا قلنا هذا الكلام كما قال الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[1] فله–سبحانه وتعالى–الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقادر قدرهما ولا يبلغ العباد كنههما.

يعني مهما تكلمنا نحن لا نقول شيئا في ملكوته، كل المقصود فقط لفت النظر إلى أنه في كل صفة كمال كامل، وإلى أن ملكه–سبحانه وتعالى–دليل على عظمته وسلطانه، فمن كانت هذه السماوات والأرض في يده كخردلة في يد أحدكم إذًا هذا دليل على عظمته–سبحانه وتعالى–.

(1) [سورة الزمر: 67]

وقد صحّ في الحديث عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: ((سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ))[1] الجبروت بمعنى السلطان فهو العظيم، عظيم السلطان، الجبار يقصم الجبارين، الجبار يجبر قلوب المنكسرين. فهو ذو الجبروت والملكوت، والملكوت بمعنى الملك والكبرياء والعظمة. هذا وجه حين نقول: **الله أكبر** يعني:

- كل صفة كمال لله فهي كبيرة فهي عظيمة.
- من جهة أخرى معناها أنه لا يستحق أحد منّا-نحن العبيد-التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غيره-سبحانه وتعالى-، فيستحق على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم.

"وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل له والخوف منه"، عرفنا أن معنى العظيم الكبير يدور حول معنيين:

**المعنى الأول**: حين تنظرين إلى صفاته فستقولين: كل صفة من صفاته هي صفة كمال، له من صفات الكمال أكبرها، أعظمها،

حين تنظرين للعبيد ماذا تقولين؟-من جهة أخرى-تقولين: هو وحده الذي يستحق التكبير، هو وحده الذي يستحق الإجلال.

حين تقولين هو وحده يستحق التكبير والإجلال ماذا ستفعلين؟ انظري لهاتين الجملتين: تبذلين جهدك في معرفته، الذي يريد أن يكبر الله ويعظمه يفتح كتاب الله ويقرأ كيف وصف الله نفسه، قال تعالى: {طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)}[2].

من هو الله؟ اقرأ في القرآن ستعرف مَن هو الله {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}[3]، الذي يريد أن يعظم الله ويعرف أن الله لا يستحق إلا التعظيم وأن الناس إذا وقع في قلوبهم تعظيم غير الله فقد أساؤوا إلى أنفسهم وذلُّوا أنفسهم لغيره، انكسروا بين يدي الضعفاء، لا أحد يستحق التعظيم إلا الله، عليهم أن يعرفوا مَن هو الله، إذا عرفوا مَن هو الله؟ لابد أن تأتي: محبته والذل بين يديه.

(1) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.
(2) [سورة طه: 1-8]
(3) [سورة غافر: 3]

**نناقش قليلا الذل بين يديه:** هذا الذل ما ألذه، ذل له طعم طيب تطيب به الحياة؛ لأنك في ذلِّك بين يدي العظيم الكريم كامل الصفات تخلي نفسك من قواك وتقول له: أنت مالك الملك، بيدك الخير، أنت على كل شيء قدير، وأنا ضعيف وفقير وجاهل وعاجز، بين يديك حاجتي اقضها لي، بين يديك قلبي أصلحه لي، فتتذلل أيها الضعيف سرًّا بينك وبين الملك العظيم، فإنه يحب السر فجعل الثلث الأخير من الليل، الوقت الخفي الذي يكون العباد وحدهم، جعل هذا الثلث الأخير من الليل زمنًا لتمام الذل، يريدك ذليلا بين يديه سرا، وحدك، ثم إذا تذللت بين يدي الكريم أكرمك.

وانظر إلى الخلق جميعًا تزِد لهم ذلًا يزيدوا لك إهانة، وهذا قدر الله الذي قضاه ولن يتغير عنه أحد، قضى الله أن الخلق إذا تذللوا للخلق أهانوهم، وأنهم إذا انذلُّوا بين يدي الكريم العظيم قضى شأنهم ورفعهم، فما أطيبه من ذل يتلذذ العبد به؛ لأنه حين تذهب لمن بيده ملكوت كل شيء ووصفه أنه رحيم وكريم وقريب ومجيب ويسمعك ويراك ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فيتحرك قلبك له ذُلًّا، وتناجيه سرًا، تتقلب على فراشك بدون أن تقوم فتطلبه وتناجيه، وأنت على فراشك تسرُّه وتشتكي إليه، تكون بين الناس تشتكي إليه بقلبك أذيتهم فيدافع عنك، ذلٌّ يوصلك إلى الشرف، فمن لم يتمتع بهذا الذل ما عاش الحياة، ما عرف أصلا لماذا تمر عليه المنغصات والكوادر!

هذه الكدرات التي تمر عليك لتلجأ بقلبك إليه، فتقف بين يديه وأنت تعلن أنه العظيم الكريم الرحيم الذي قد ذقنا في حياتنا آثار كرمه وعطائه ورحمته مع قدرته وسلطانه؛ لأنه هو: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} لكنه {شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو} له القوة التامة، فما رحمك لضعفه-سبحانه وتعالى-، بل رحمك لكرمه-سبحانه وتعالى-، ومن لم يعرف هذا يرى كيف عذب الأوائل، يرى كيف يهين من لا يتعلق به، يرى قدرة الله على كل شيء.

فحين تعرف معنى اسم الله **الكبير** وأنه في كل صفة كمال له منه أكملها، شيء لا تستطيع أن تقدر قدره: إن كان في ملك فله الكمال فيه، وإن كان في سلطان فله الكمال فيه، يعني من سلطانه وقيوميته أنه لا يتحرك على الأرض متحرك ولا يدب داب إلا بأمره وإذنه، لا يوجد قوة يملكها الإنسان إلا حين يعطيه-سبحانه وتعالى-القوة، شيء يفوق تصورك، لا تستطيع أن تدركه، فترى عظمته في قلب ينبض وأنت لست مسؤولًا عن نبضه، في رئة تتنفس وأنت لست مسؤول عن تنفسها، في دم يجري وأنت لست مسؤول عن إجرائه، ترى عظمته-سبحانه وتعالى-في هذا كله، فعلى هذا يستحق منك وحده التعظيم والتكبير، فهو أكبر من كل شيء وهو أعظم من كل شيء، وحلمه ورحمته وسعت كل شيء، وعلمه-سبحانه وتعالى-وسع كل شيء.

فماذا تفعل؟ تبذل جهدك في معرفته ومحبته والذل له والخوف منه، كما أنه غافر الذنب فهو شديد العقاب؛ ولذلك ترى الأرض تموج بين قوم يرحمهم الله وبين قوم ينزل عليهم العذاب؛ لترى آثار كمال صفاته، وهو الحكيم العليم الذي لا يظلم أحدا.

فنسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعل الإيمان مستقرا في قلوبنا، أن يكشف عنا الغمة التي نعيشها بالدنيا، إننا نعيش غمة حقيقية مالنا إلا أن نتوسل إلى الله أن يكشف عنا هذا الران، يكشف عنا هذا الحاجز الذي يحجزنا عن عظمته وكماله وجلاله، واجمعوا قلوبكم جميعًا وقتما تسألون الله-عزَّ وجلَّ-الصراط المستقيم في الفاتحة على طلب الهداية حقا، والله لا يخيب من قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[1] وقلبه متيقِّن بأن ربه يسمعه ويجيب عليه ويقول: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، لا يخيبه فيستقيم القلب وتنكشف الغمة، وترى الحقيقة ويصبح بصرك حديدًا، وأنت هنا في الدنيا لأن قوة الإيمان في الدنيا معناها: أن الإنسان يرى الحقائق الغيبية كأنها رأي العين، وهذه درجة يبلغها الأتقياء بذلهم لله، يبلغها الأتقياء أن يعبدوا الله كأنهم يرونه، يبلغ الأتقياء درجة والأولياء درجة أنهم يعاملون الله كأنهم يروا اليوم الآخر أمام عينيهم، هذا من منَّته على خلقه، فمن أعظم مننه على خلقه أن يسبب لهم أسباب زيادة الإيمان فنشكره ونذكره ونسأله أن يبلغنا هذه العشر وقد امتلأت قلوبنا إيمانًا، وما لنا إلا الدعاء، ما لنا إلا أن نستلطفه بنا، ما لنا إلا أن نسأله أن يلطف بنا وبقلوبنا ويزيدنا إيمانًا.

تم بحمد الله

(1) [سورة الفاتحة: 6]

# الفهرس

اللقاء الأول ..... 1
اللقاء الثاني ..... 18